فجملة (إن ا عنده علم الساعة) مستأنفة استئنافا بيانيا لوقوعها جوابا عن سؤال مقدر في نفوس الناس . والجمل الأربع التي بعدها إدماج لجمع نظائرها تعليما للأمة . وقال الواحدي والبغوي : إن رجلا من محارب حصفة من أهل البادية سماه في الكشاف الحارث بن عمرو وقع في تفسير القرطبي وفي أسباب النزول للواحدي تسميته الوارث بن عمرو بن حارثة جاء إلى النبي A فقال : متى الساعة ؟ وقد أجدبت بلادنا فمتى تخصب ؟ وتركت امرأتي حبلى فما تلد ؟ وماذا اكسب غدا ؟ وبأي أرض أموت فنزلت هذه الآية ولا يدري سند هذا . ونسب إلى عكرمة ومقاتل ولو صح لم يكن منافيا لاعتبار هذه الجملة استئنافا بيانيا فإنه مقتضى السياق .

وقد أفاد التأكيد بحرف (إن) تحقيق علم ا تعالى بوقت الساعة وذلك يتضمن تأكيد وقوعها . وفي كلمة (عنده) إشارة إلى اختصاصه تعالى بذلك العلم لأن العندية شأنها الاستئثار . وتقديم (عند) وهو ظرف مسند على المسند إليه يفيد التخصص بالقرينة الدالة على أنه ليس مراد به مجرد التقوي .

وجملة (وينزل الغيث) عطف على جملة الخبر . والتقدير : وإن ا ينزل الغيث فيفيد التخصيص بتنزيل الغيث . والمقصود أيضا عنده علم وقت نزول الغيث وليس المقصود مجرد الإخبار بأنه ينزل الغيث لأن ذلك ليس مما ينكرونه ولكن نظمت الجملة بأسلوب الفعل المضارع ليحصل مع الدلالة على الاستئثار بالعلم به الامتنان بذلك المعلوم الذي هو نعمة .

وفي اختيار الفعل المضارع إفادة أنه يجدد إنزال الغيث المرة بعد المرة عند احتياج الأرض . ولا التفات إلى من قدروا : ينزل الغيث بتقدير " أن " المصدرية على طريقة قول طرفة : .

" ألا أبهذا الزاجري احضر الوغى للبون بين المقامين وتفاوت الدرجتين في البلاغة . وإذ قد جاء هذا نسقا في عداد الحصر كان الإتيان بالمسند فعلا خبرا عن مسند إليه مقدم مفيدا للاختصاص بالقرينة ؛ فالمعنى : وينفرد بعلم وقت نزول الغيث من قرب وبعد وضبط وقت . ومضغة وعلقة نطفة من أطواره جميع بعلم ينفرد أي (الأرحام في ما ويعلم) عليه وعطف A E ثم من كونه ذكرا أو أنثى وإبان وضعه بالتدقيق . وجيء بالمضارع لإفادة تكرر العلم بتبدل تلك الأطوار والأحوال . والمعنى : ينفرد بعلم جميع تلك الأطوار التي لا يعلمها الناس لأنه عطف على ما قصد منه الحصر فكان المسند الفعلي المتأخر عن المسند إليه مفيدا للاختصاص بالقرينة كما قلنا في قوله تعالى (وا يقدر الليل والنهار) .

وأما قوله (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت) فقد نسج على منوال آخر من النظم فجعل سداه نفي علم أية نفس بأخص أحوالها وهو حال اكتسابها القريب منها في اليوم الموالي يوم تأملها ونظرها وكذلك مكان انقضاء حياتها للنداء عليهم بقلة علمهم ؛ فإذا كانوا بهذه المثابة في قلة العلم فكيف يتطلعون إلى علم أعظم حوادث هذا العالم وهو حادث فنائه وانقراضه واعتياضه بعالم الخلود . وهذا النفي للدراية بهذين الأمرين عن كل نفس فيه كناية عن إثبات العلم بما تكسب كل نفس والعلم بأي أرض تموت فيها كل نفس إلى ا تعالى فحصلت إفادة اختصاص ا تعالى بهذين العلمين فكانا في صميمة ما انتظم معهما مما تقدمهما .

وعبر في جانب نفي معرفة الناس بفعل الدراية لأن الدراية علم فيه معالجة للاطلاع على المعلوم ولذلك لا يعبر بالدراية عن علم ا تعالى فلا يقال : ا يدري كذا فيفيد : انتفاء علم الناس بعد الحرص على علمه . والمعنى : لا يعلم ذلك إلا ا تعالى بقرينة مقابلتهما بقوله (وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام) . وقد علق فعل الدراية عن العمل في مفعولين بوقوع الاستفهامين بعدهما أي ما تدري هذا السؤال أي جوابه .

وقد حصل إفادة اختصاص ا تعالى بعلم هذه الأمور الخمسة بأفانين بديعة من أفانين الإيجاز البالغ حد الإعجاز .

ولقبت هذه الخمسة في كلام النبي A بمفاتح الغيب وفسر بها قوله تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) ففي صحيح البخاري من حديث ابن عمر قال رسول ا A " مفاتح الغيب خمس " ثم قرأ (إن ا عنده علم الساعة) الآية ومن حديث أبي هريرة " ... في خمس لا يعلمهن إلا ا إن ا عنده علم الساعة جوابا عن سؤال جبريل " متى الساعة ؟ ... "